التعبيرات العطفية وأثرها في التأويل عند ابن عاشور
" دراسة لغوية نصية"

محمد إبراهيم أحمد

الملخص

لما كان النص "عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا" [1] وجب أن تكون هذه الجمل مترابطة فيما بينها حتى تكون نصًا متماسكًا، فعطف الجملة على الجملة يتم بطرق عديدة، منها الربط بأدوات الوصل (Conjunction)، والربط بأدوات الفصل (disjunction)، والربط بألأدوات الاستدراك (contrajunction)، والربط بأدوات التفريغ أو الإتباع (subordination)، والربط بأدوات الربط الزمني (temporal conjunction) [2].

ويعد العطف من أبرز القضايا التي اهتم بها علماء النص لدورها في تحقيق الاتساق بين عناصر النص، وتحليل النصوص في ضوء المنهج النصي ولذا تعد وسائل الربط في النصوص تعبيرًا صريحًا عن العلاقة المعنوية الموجودة بين أجزاء النص وتحديدًا للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم[3]، وللأدوات – تحديدًا – دون غيرها من وسائل الربط أهمية كبيرة في سبك النصوص، "لأنه قد لا يخلو نص من أدوات تربط بين كلمات الجمل، وأخرى بين الجمل، وثالثة تربط بين الفقرات حتى يكون النص مسبوكًا كأنه جملة واحدة، والجملة كأنها كلمة واحدة[4].

وسيحاول هذا المبحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ما العلاقة التي تجمع مفهوم العطف عند القدماء (البلاغيين والمفسرين، والعطف عند المحدثين النصيين؟

2- ما علاقة تأويل النصوص بفهم "العطف" كونه أداة لسانية تسبك الجمل بعضها ببعض؟

3- كيف استطاع ابن عاشور أن يتعامل مع تلك الأداة؟

Conjunction and its Effect on Interpretation of" Ibn Ashour" : A Linguistic Textual Study

Mohamed Ibrahim Ahmed

Abstract

The Conjunction of the highlights of the issues I'm interested in the text scientists for their role in achieving consistency between elements of the text, and the analysis of texts in light of textual method, and so are the means of linkage in the texts explicit expression in the moral relationship between the parts of the text, specifically the way that binds them subsequent to the previous regular basis, and tools - specifically - without other means of linking great importance in casting texts, "because it may not without the text of tools linking the words of the sentences, and the other between sentences, and a third between paragraphs so that the text molten like one sentence, and the sentence as the word one .

This section will try to answer the following questions:

1-What is the relationship that combines the concept of Conjunction to the ancients (Rhetoric and commentators, and Conjunction when modern textual?

2- What interpretation of texts understanding of " Conjunction " relationship being lingual tool cohesion sentences to each other?

3-. How could Ben Achour to deal with that tool?

أولاً: إسهامات القدماء العرب:

نال العطف حظًا كبيرًا من دراسة القدماء، فلا ترى كتابا من كتب النحاة أو المفسرين أو البلاغيين خاليًا من الحديث عنه؛ وذلك بسبب كثرة وروده في القرآن.

فالنحاة إسهامهم في هذا الموضوع جدير بالدراسة والتعليق، فالعطف لغة "الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه"[5]، وهذه العبارة تدل على السبك الذي ينطوي عليه العطف. أما وظيفته فقد أوضحها سيبويه وابن جنى، فالعطف وصل الكلام بعضه ببعض والإشراك بين المعطوف والمعطوف عليه[6]، ويوضح ابن السراج وظيفة حرف العطف فيقول: "حرف العطف إنما وضع لينوب عن العامل، ويغني عن إعادته، فإن قلت: قام زيد وعمرو، قالوا وأغنت عن إعادة قام، فقد صارت ترفع كما ترفع قام"[7] ويلاحظ الاتفاق الواضح بين هذا القول لابن السراج وما قاله النصوين عن الاختزال المتولد من حروف العطف.

ويتضح مما سبق حرص النحاة العرب على سبك النص وتماسكه بين العناصر المكونة للنص، بل ظهر في كتبهم ما يدل على وعيهم بفكرة التماسك الشكلي والدلالي، ويظهر ذلك عن تقسيم "ابن الناظم" حروف العطف إلى ضربين: أحدهما: ما يعطف مطلقا؛ أي يشرك في الإعراب والمعنى، وهو (الواو، ثم، الفاء، حتى، أم، وأو)، والثاني: ما يعطف لفظًا فحسب، أي يشرك في الإعراب وحده، وهو (بل، لا، ولكن)[8].

بل لقد كان "الصبان" أشد وعيًا من ابن الناظم في هذه النقطة، لمراعاته للسياق الذي ترد فيه حروف العطف، فقسَّم بناء على ذلك – حروف العطف إلى ثلاثة أقسام:

1- ما يشرك في اللفظ فقط دائمًا، وهي ثلاثة: بل، لكن، ولا، لاختلاف المتعاطفين فيهما بالإثبات والنفي، إذا ما قبل بل ولكن منفي، وما بعدها مثبت، ولا بالعكس.
2- ما يشرك لفظًا ومعنى دائمًا، وهو أربعة: الواو، الفاء، ثم، وحتى.
3- ما يشرك لفظًا فقط تارةً، ومعنى تارةً أخرى، وهو: أم، أو.[9]

أمَّا المفسرون عندما تناولوا العطف في القرآن الكريم، كانت هذه الفكرة برَّاقة في عقولهم وأفهامهم، لذلك راحوا يسخِّرون العطف لخدمة بيان تماسك القرآن، ولاحظ د. محمد خطابي هذا في تناول العطف عند المفسرين فاستخرج ثلاث وسائل، ألا وهي: عطف قصة على قصة، وتعدد المعطوف عليه، والعطف السببي[10] وسوف يبيِّن المبحث هذا الجانب عند الزمخشري وابن عاشور.

أما عن البلاغيين فقد كان لهم النصيب الأكبر ليس فقط في العطف وإنما في كل أدوات التماسك النصي؛ لأنني أرى ما يراه أستاذنا الدكتور محمد العبد في أن "علم المعاني في تراثنا العربي قد عرض لكثير من المسائل والأبواب التي تدخل الآن في صميم (نحو النص) [11].

فقد تناول البلاغيون هذا المبحث تحت عنوان الوصل، فعرفوه بأنه: عطف بعض الجمل على بعض، اما الفصل فهو تركه، والتمييز بينهما من أصعب مباحث

البلاغة[12].

وقد عبَّر الجرجاني عن ذلك بقوله: "وأعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى، من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص، وإلاَّ قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هما بها أفراد"[13].

نخلص من مفهوم العطف عند القدماء أنهم حصروه في حروف العطف، والتي حددها ابن سراج[14]، وهي: الواو، الفاء، ثم، أ، إما، لا، بل، لكن، أم، وحتى.

ثانياً: إسهامات المحدثين النصيين:

تُعَدُّ قضية العطف من أبرز القضايا التي اهتم بها علماء النص وذلك لدورها في تحقيق السبك بين عناصر النص، كان من بينها العطف للوسائل التي يتحقق بها السبك بين عناصر النص، كان من بينها العطف ويقصد به عند هاليداي ورقية حسن: "هو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"[15] ووظيفته: "الربط بين عناصر الخطاب بطريقتين أولاهما ربط الأجزاء، والثانية: تكيف الخطاب عن طريق الاختزال؛ أي تلافي الخطاب، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان لدينا خطاب مليء بالحشور"[16].

ويضرب خطابي مثالاً يوضح وظيفة العطف، فيقول:

أكثر من زيتونة ونهر ونسمة تروح أو تجيء. أكثر من جزيرة وغابة..

ثم يعيد إخراجها كالتالي:

أكثر من زيتونة (وأكثر من) نهر (وأكثر من) نسمة تروح أو تجيء أكثر من جزيرة و(أكثر من) غابة[17].

يتضح من هذا المثال وظيفة الواو الرابطة بين عناصر الخطاب، فقد قامت بربط أجزاء النص، ثم قامت بالاختزال، الذي لولا أداة الربط لامتلأ النص بالحشو الزائد.

ويوضح د. صبحي الفقي أن التماسك في جمل النص يتحقق نتيجة عدة عوامل هي:

1. حرف العطف.
2. العلاقة الإعرابية.
3. أفعال المشاركة.
4. معنى حرف العطف[18].

ولتنوع وسائل الربط في إطار العطف فرَّع هاليداي ورقية حسن العطف إلى اربعة أنواع:

1. إضافي.
2. استدراكي.
3. سببي.

4. زمني[19].

وهناك تصنيف آخر لوسائل الربط العطفي قدمه ديبوجراند، وهو الذي سيعتمده البحث إذ قسم أدوات الربط التي تعطف الجمل إلى خمسة أقسام [20]:

1- **أدوات الوصل Conjunction:** وهي التي تربط بين الشيئين اللذين لهما نفس الحالة، فهي علاقة سابق للاحق، تربط صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما. ومن تلك الأدوات: (و – كذلك – بالإضافة إلى ذلك – بالمثل – فضلاً عن ذلك – ناهيك عن....)

2- **أدوات الفصل Disjunction:** وهي تدل على أن أحد المتعاطفين يمكن أن يكون صحيحًا (موجودًا) في عالم النص؛ ويطلق على هذا النوع أيضًا الربط بالتخيير ومن تلك الأدوات (أو – إما – أو – إما .. وإما)

3- **أدوات الاستدراك Contrajunction:** وتربط بين شيئين لهما نفس المكانة ولكنهما يبدوان غير متسقين معاً في عالم النص، كأن يكونا: سببا ونتيجة غير متوقعة، فالجمع بينهما يكون غير محتمل، ومن تلك الأدوات: (لكن – بيد أن – غير أن – وإما – خلاف ذلك – على العكس – في المقابل).

4- **أدوات التفريغ والإتباع Subordination:** وتربط بين عنصرين يعتمد أحدهما على وجود الآخر. وتمثل تلك الأدوات عدة أنواع، كالسبب والنتيجة، ومن تلك الأدوات: (لـــ.... لأن – لكي – لذلك – من أجل ..).

5- **أدوات الربط الزمني Temporal Conjunction:** وهي أدوات تربط بين جملتين متتابعين زمنيًا، ومن الأدوات المعبرة عن ذلك (الفاء – ثم – بعد – قبل – منذ – كلما.

ويمكن أن نضيف له قسمًا سادسًا يمكن أن نطلق عليه "**العطف الشرطي**" وهو شكل من أشكال الربط التتبعي أو التفريعي، والذي يشير إلى العلاقة بين صورتين من صور المعلومات، هي علاقة التدرج، أي أن تحقق إحداهما يتوقف على حدوث الأخرى[21]، ومن الأدوات المعبرة عنه (إذا، لو، إن، لما، كلما، لولا، من، أما).

نلحظ مما سبق أن مفهوم العطف عند القدماء مرتبط فقط بحروف العطف والتي سبق ذكرها عند النحاة العرب، أما العطف عند النصيين فقد اتسع مفهومه ليسمل كل التعبيرات التي تعطف جملاً على جمل ومن شأنها أن تساعد على تماسك النص، ومن ثم تفسيره، حيث أنها تفسر كيف أننا نتعرف مسبقًا على وجود العلاقة الدلالية في سطح النص[22].

وسنحاول الآن الكشف عن دور تلك التعبيرات العطفية في تأويل النص القرآني عند الزمخشري وابن عاشور معتمدين البحث عن ستة أدوات هي على الترتيب:

1. أدوات الوصل.
2. أدوات الفصل.
3. أدوات الاستدراك.
4. أدوات التفريع والاتباع.
5. أدوات الربط الزمني.

6. أدوات العطف الشرطي.

ثالثاً: التأويل وعلاقته بالعطف عن الزمخشري وابن عاشور:

اتفقنا على أن التعبيرات العطفية تقوم بالربط بين مكونات النص مفردات أو جملٍ في البنية السطحية، وعلى المؤول أن يكون واعيًا بتلك الروابط، وسيكتفي البحث بأداة واحدة لكل نوع يبيِّنها عند ابن عاشور، لتكون دليلاً على الفهم الواعي بالنص وروابطه فهمًا – يجعلهم يصلون إلى **تصور** مقبول من النص.

1- أدوات الوصل:

قلنا أنها أدوات تربط بين جملة سابقة وجملة لاحقة عن طريق الجمع بينهما ومن هذه الأدوات (و – كذلك – ناهيك عن – فضلاً عن – كذلك) وسيختار البحث أداة الـ (و) للكشف عن طريقة تعامل المفسرين مع ظواهرها التركيبية في القرآن.

فالنص القرآني يكثر فيه أن تكون الواو أداة لربط مجموعة كبيرة من الجمل تكون وحدة دلالية في النص، على مجموعة أخرى، على أن يكون بين المجموعتين المتعاطفين وجه من المناسبة الموضوعية، ووجه من لمفارقة، لأن الشيء لا يعطف على نفسه، وهو ما يعنيه ابن عاشور عندما يصف القصة المعطوفة بالاستقلال، وقد أكثر ابن عاشور من تتبع هذا العطف في تفسيره مع إقراره للزمخشري بالسبق إلى معرفته[23] ومن أمثلة ذلك ما يلي:

قوله ﷻ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ البقرة: ٨ ، هذه الآية بداية حديث عن أحوال المنافقين ممتد لاثنتي عشرة آية بعدها، أي حتى قوله ﷻ ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٠ ، وهو يتضمن حديث القرآن عن الكافرين الصرحاء[24] والذي سوّغ هذا العطف مع طول المسافة أن هناك مناسبة دلالية بين مجموعتي الجمل المتعاطفين، وهي اشتراكهم في الكفر، أما المفارقة بين المتعاطفين، فتتمثل في كون أحد الكفرين صريحًا والآخر نفاقًا، قال ابن عاشور: "الواو لعطف طائفة من الجمل على طائفة مسوق كل منهما بغرض جمعتهما في الذكر المناسبة بين الغرضين، "المناسبة بين كل جملة وأخرى من كلا الغرضين".[25]

قوله ﷻ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤ ، فإن الواو عطفت جملة (إذا قلنا) وما تلاها من جمل على مجموعة من الجمل المبدوءة لجملة ﷻ ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: ٣٠ ، وكل مجموعة منهما تمثل قصة مستقلة، وقد استدل ابن عاشور لكون المعطوف (وإذ قلنا) قصة مستقلة بما يلي:

1- إيثار حرف العطف الواو **(وهي لمجرد الجمع)** يوحي باستقلال القصة المعطوفة والاهتمام بها، فلو كانت جزءًا مما قبلها لم تعطف عليها.[26]

2-إعادة الظرف (إذ) في الجملة المعطوفة مع إمكان الاستغناء عنه لوجود العاطف (الواو) قال ابن عاشور: "وإعادة (إذ) بعد حرف العطف المغني عن إعادة ظرفه تنبيه على أن الجملة مقصودة بذاتها لأنها متميزة بهذه القصة العجيبة فجاءت على أسلوب يؤذن بالاستقلال والاهتمام. (27)

3-العدول عن الإحالة إلى التصريح بالمرجع بإظهار "لفظ (الملائكة)، ولفظ (آدم) هنا دون الإتيان بضميريهما كما في قوله ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾ البقرة: ٣٢ " وقوله ﴿ فَلَمَّا أَنبَأَهُم ﴾ البقرة: ٣٣ ؛ لتكون القصة المعطوفة معنونة بمثل عنوان القصة المعطوف عليها إشارة إلى جدارة المعطوفة بأن تكون قصة مقصودة غير مندمجة في القصة التي قبلها.(28)

ويبدو أن جملة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: ٣٠ هي محور القصص في هذه السورة، حيث عطف عليها قصة إبراهيم عليه السلام المتضمنة في قوله تعالى: "**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن، قال إن جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي، قال لا ينال عهدي الظالمين**"، ومع بعد المسافة بينهما يرى ابن عاشور أن هناك مناسبة دلالية بين مجموعتي الجمل المعطوفة والمعطوف عليها وتتمثل هذه المناسبة فيما يلي:

1- تناسب البنية النحوية في مطلع الجملتين من الافتتاح بالظرف (إذ).(29)

2- القصد، حيث إن مجموعة الجمل المعطوفة المقصود منها "موعظة المشركين ابتداء وبني إسرائيل تبعًا لهم، لأن العرب أشد اختصاصًا بإبراهيم من حيث إنهم يزيدون على نسبهم إليه بكونهم حفظة حرمه، ومنتمين قديمًا للحنيفية، ولم يطرأ عليهم دين يخالف الحنيفية بخلاف أهل الكتابين.(30)

وهذا يناسب مضمون الجملة المعطوف عليها، فإنها ابتدأت بموعظة المشركين ثم انتقلت إلى موعظة بني إسرائيل، قال ابن عاشور: "قوله: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً) تذكير بنعمة الخلق الأول، وقد وقع عقب التعجب من كفر المشركين بالخالق في قوله تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٨ ، عقبت تلك التذكرة بإنذار من يكفر بآيات الله من ذرية آدم بقوله تعالى﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ البقرة: ٣٨ ، ثم خُصَّ من بين ذرية آدم بنو إسرائيل الذين عهد إليهم على لسان موسى عهد الإيمان وتصديق الرسول الذي يجيء مصدقا لما معهم، لأنهم صاروا بمنزلة الشهداء على ذرية آدم".(31)

2- أدوات الفصل:

وهي أدوات تربط بين جملتين أو بديلين إحداهما يقع في عالم النص، ويمكن أن نطلق عليه الربط بالتخيير بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات(32)، ومن هذه الأدوات (أو)، وقد وضّح ابن عاشور المعنى الأصيل لها في قوله ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠ ، قال ابن عاشور: وقوله: "أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ" عطف على "تَكُونَا مَلَكَيْنِ" وأصل (أو) الدلالة على الترديد بين أحد الشيئين أو

الأشياء، سواء كان مع تجويز حصول المتعاطفات كلها فتكون للإباحة بعد الطلب، وللتجويز بعد الخبر أو للشك، أم كان مع منع البعض عند تجويز البعض، فتكون للتخيير بعد الطلب وللشك أو الترديد بعد الخبر، والترديد لا ينافي الجزم بأن أحد الأمرين واقع لا محالة كما هنا، فمعنى الكلام أن الآكل من هذه الشجرة يكون ملكًا وخالدًا".[33]

من العطف بـ (أو) أيضًا قوله تعالى﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٨ ، فلقد عطفت (أو) جملة (يَأْتِىَ رَبُّكَ) على جملة (تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ)، وعطفت جملة (يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ) على جملة (يَأْتِىَ رَبُّكَ)، وعطفت جملة (كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا) على جملة (ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ).

وقد وردت الآية في سياق الاستفهام الإنكاري الذي لا تنفع معه موعظة، فإتيان الملائكة، أو أمر ربنا، أو إتيان بعض آيات ربن،أمورٌ تصاحب القضاء بينهم بالقسط، ولأنهم لا تؤثر فيهم حجة ولا تنفعهم موعظة لا ينظرون إلا ذلك، ولابد للعذاب أن يأتيهم، ويجوز أن يكون وقوعه في يوم القيامة ويجوز وقوعه في الحياة الدنيا.[34]

والاستدلال بالسياق يكشف أن (أو) ربطت بين جمل النص بالدلالة على أحد الشيئين أو الأشياء.

أما سياق الجملتين الأخيرتين فإنه يختلف عن السياق المتقدم، فما تقدم كان على سبيل الإبطال وعدم التحقق، وسياق الجملتين يدور فيهما إذا تحقق شيءٌ مما تقدم[35] فدلالة (أو) اختلفت هنا وهي قريبة جدًا مما أشار إليه الزمخشري بقوله[36]: "أو في أصلها للتساوي شيئين فصاعدًا في الشك، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير شك".[37]

فمعنى الجملتين أن الإيمان عند وقوع شيء مما تقدم لا ينفع نفسًا لم تؤمن من قبل ذلك اليوم إيمان طوع واختيار، أو آمنت قبله ولم تكسب به خيرًا ولم تعمل صالحًا، فكلا النفسين سواء في عدم الانتفاع من الإيمان في ذلك اليوم.

ومنه قوله تعالى﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ الحج: ٣١ فـ (أو) هنا عطفت جملة "تهوى" على "فتخطفه"، وهي دالة على التخيير، قال ابن عاشور، وقوله "أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ" تخيير في نتيجة التشبيه أشارت الآية إلى أن الكافرين قسمان: قسم شركة ذبذبة وشك، فهذا شبه بمن اختطفه الطير، وقسم مصمم على الكفر مستقر فيه، فهو مشبه بمن ألقته الريح في واد سحيق".[38]

3-أدوات الاستدراك:

وهي أدوات تقوم بالربط العكسي كما أشار هاليداي ورقيه حسب "حيث يعني على عكس ما هو متوقع"[39]، ويربط الاستدراك على سبيل السلب صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة التعارض[40]، ومن الأدوات التي عبَّرت عن هذا الربط (لكن، بل).

من ذلك قوله تَعَالَى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الأنعام: ٤٠ – ٤١ ، فقد عطفت (بل) بين جملتين فعليتين، والعطف بها يختلف عن العطف بالحروف الأخرى، إذ إنها تفيد الإضراب، أي أنها ليست للإشراك في المعنى بل اللفظ فقط، وتفيد نفي المعنى عن الأول وإثباته في الثاني[41]

والآية وردت في موضع احتجاج على المشركين، فـ(بل) لإبطال دعوة غير الله، أي فأنا أجيب عنكم بأنكم لا تدعون إلا الله، ووجه تولي الجواب عنهم من السائل نفسه أنَّ هذا الجواب لمَّا كان لا يسع المسئول إلا إقراره، صح أن يتولى السائل الجواب عنه.[42]

وقد أدت (بل) إلى سبك النص عن طريق قوة الربط بين علاقتين الأولى هي أتدعون غير الله؟ والثانية تدعون الله، لينتج عنهما علاقة واحدة مركبة.

ومنه كذلك قوله قَالَ تَعَالَى:﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ النحل: ٧٥ ، وقد جاءت (بل) هنا على سبيل الإضراب الذي يعتمد على الانتقال من غرض إلى غرض آخر[43]، وقد أشار إلى ذلك ابن عاشور فقال: "وجملة (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) إضراب للانتقال من الاستدلال عليهم إلى تجهيلهم في عقيدتهم".[44]

وكذلك أداة (لكن)، وقد وضح ابن عاشور معناه وعمله، وذلك في قوله قَالَ تَعَالَى:﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ الكهف: ٣٨ ، قال ابن عاشور: (وموقع الاستدراك مضادة ما بعد (لكن) لما قبلها، ولاسيما إذا كان الرجلان أخوين أو خليلين كما قيل، فإنه قد يتوهم أن اعتقادهما سواء"[45].

ومن أمثلتها في القرآن قوله تَعَالَى:﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يوسف: ٣٨ ، فقد قال ابن عاشور: "وأتى بالاستدراك بقوله: (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) للتصريح بأن حال المخاطبين في إشراكهم حال من يكفر نعمة الله، لأن إرسال الهداة نعمة ينبغي أن ينظر الناس فيها، فيعلموا أن ما يدعونهم إليه خير، وإنقاذ لهم من الانحطاط في الدنيا والعذاب في الآخرة، ولأن الإعراض عن النظر في أدلة صدق الرسل كفر بنعمة العقل والنظر"[46].

وقد تسبق (لكن) بـ (و) وفي هذه الحالة يكون المعنى المستفاد من الاستدراك رفع توهم ناشئ من تلقي الحكم السابق بذكر حكم آخر يكمل معناه ويوضحه. ومثال ذلك قوله قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ البقرة: ١٢ ، يقول ابن عاشور: "وموقع حرف الاستدراك هنا لأن الكلام دفع لما أثبتوه لأنفسهم من الخلوص للإصلاح فرفع ذلك التوهم بحرف الاستدراك".[47]

4- أدوات التفريع أو الاتباع:

وهي تلك الأدوات التي تربط بين جملتين أو أكثر تكون فيها الجملة الأخيرة معتمدة على ما سبقتها من جمل كالسبب والنتيجة، ومن تلك الأدوات (اللام).[48]

وقد أوضح ابن عاشور تسميتها في قوله تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ يونس: ٧٧ ، قال ابن عاشور: "واللام في (للحق) لام التعليل؛ وبعضهم يسميها لام البيان، وبعضهم يسميها لام المجاوزة بمعنى (عن)"[49]، ومن الأمثلة الدالة عليها:

قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ النحل: ٧٠ ، وقد أفادت (اللام) مع (كي) الداخلة عليها هنا الصيرورة والعاقبة، يقول الزمخشري: "(لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا) ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان، وأن يعلم شيئًا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه، وقيل: لئلا يعقل من بعد عقله الأول شيئًا، وقيل: لئلا يعلم زيادة علم على علمه".[50]

وهو ما شرحه ابن عاشور قائلاً: "ولام التعليل الداخلة على (كي) المصدر به مستعملة في معنى الصيرورة والعاقبة، تشبيهًا للصيرورة بالعلة استعارة تشير إلى أنه لا غاية للمرء في ذلك التعمير تعريضًا بالناس، إذ يرعنون في طول الحياة، وتنبيهًا على وجوب الإقصار من تلك الرغبة"[51]، فقد ربطت "لكي" جملة **(لا يعلم بعد علم شيئاً)** بما قبلها من جمل في تناغم وانسجام بليغ[52].

وكقوله تَعَالَىٰ:﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠ ، قال ابن عاشور: "واللام في **(ليبدي)** لام العاقبة إذا كان الشيطان لا يعلم أن العصيان يفضي لهما إلى حدوث خاطر الشر في النفوس وظهور الوآت، فشبه حصول الأثر عقب الفعل بحصول المعلول بعد العلة"[53]. فكان تحليل وتأويل ابن عاشور قائمًا على فهم تلك الأداة العطفية.

ومنه أيضًا قوله تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾ محمد: ١ – ٣ فقد ربطت هنا الأداة (ذلك بأن) الجملة اللاحقة على الجمل السابقة وهو ملمح من ملامح السبك النصي يقول ابن عاشور: "هذا تبين للسبب الأصيل في إضلال أعمال الكافرين وإصلاح بال المؤمنين، والإتيان باسم الإشارة لتمييز المشار إليه أكمل تمييز تنويهًا به. وقد ذكرت هذه الإشارة أربع مرات في هذه الآيات المتتابعة للغرض الذي ذكرناه .. والباء للسببية ومجرورها في موضع الخبر عن اسم الإشارة، أي ذلك كائن بسبب إتباع الكافرين الباطل واتباع المؤمنين الحق، ولما كان ذلك جامعًا للخبرين المتقدمين كان الخبر عنه متعلقًا بالخبرين وسببًا لهما".[54]

ثم يعلق ابن عاشور بعد ذلك على الآية نفسها تعليقًا أحسبه مهمًا في موضوع بحثنا قائلاً: "وفي هذا محسن الجمع بعد التفريق ويسمونه كعكسة التفسير لأن في الجمع تفسيرًا للمعنى الذي تشترك فيه الأشياء المتفرقة تقدم أو تأخر"[55] ثم ينقل كلامًا عن الزمخشري، قائلاً: "قال في الكشاف: وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير، يريد أنه من المحسنات البديعية".[56]

وتعليق ابن عاشور يدل على أن التأويل وفهم النصوص يتطلب فهم

الروابط التي تجعل النص لحمة واحدة وجمع المتفرقات وهذا عمل لا يقوم بـــه إلا خبير.

بل يلاحظ أن ابن عاشور قد ذكر مصطلح "التفريع" عنـــده فـــي بعـــض المواضع ويقصد به "**التفصيل بعد الإجمال**"، وهو مما يقـــوي الســـبك عنـــده، لأن التفريع يقتضي اتصالاً وارتباطًا بين المفرع والمفرع عليه".[57]

5- أدوات الربط الزمني:

وهي الأدوات التي تربط بين جملتين متتابعتين زمنيًا، ومن تلـــك الأدوات (الفاء)، فهي تربط بين وحدات النص يقيدها الترتيب والتعقيب، يقول سيبويه: "ومن ذلك قولنا مررت بزيد فعمرو، ومررت برجل فامرأة، فالفاء أشركت بينهمـــا فـــي المرور، وجعلت الأول مبدوءًا به"[58]، وقد أسمى النجاة هذا الترتيب الزمني ترتيبًا ذكريًا[59]، وقد فهم ابن عاشور هذا الفهم للأداة (الفاء) في قوله: "إن أصل معنـــى (الفاء) العاطفة الترتيب والتعقيب لا غير، وهو المعنى اللازم لها في جميع مواقـــع استعمالها"[60]، ومن الأمثلة الدالة عليه في النص القرآني.

قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤ ، قد أشار ابن عاشور لهذا المعنى في فهمه للآية ولكنـــه أشـــار إلى أن التعقيب الزمني لم يكن مقصودًا لذاته، بل هناك دلالة أخرى أضـــيفت لـــه، فاستعمال العطف بالفاء في (فسجدوا) يشير إلى مبادرة الملائكـــة بالامتثـــال، ولـــم يصدهم ما كان في نفوسهم من التخوف من أن يكون هذا المخلوق مظهـــر فســـاد وسفك دماء لأنهم منزهون عن المعاصي"[61]، فالفاء هنا دلت على سرعة استجابة المتلقي لفعل الأمر[62].

ومن الآيات الدلة ايضا على دور الفاء في ربط الجمل وســـبكها ومـــن ثـــم تاويل تلك الجمل يعتمد على فهـــم دورهـــا ، قولهتَعَالَىٰ:﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ البقرة: ٦١ يقول ابن عاشور :"الظاهر أن الفاء للتعقيب عطفـــت جملـــة (إن لكـــم ماسألتم)على جملة (اهبطوا) للدلالة على حصول سؤلهم بمجرد هبوطهم مصر ، ولم يشر إلى الترتيب لظهوره من الكلام ، كما نفى دلالة الفاء على السببية في هذه الآية ، لن المر بالهبوط (اهبطوا) واضح والمقصود منه ظاهر ، وليس المقام مقام ترغيب في هذا الهبوط حتى يشجع المأمور بتعليق الأمر ولو كان المقصود التعليل لاستغنى النظم بـــ (إن) عن الفاء، فـــ (إن) تفيد السببية في بعض مواضعها كمـــا ذكر الجرجاني".[63]

ومن المواضع التي كان لفهم الأداة فيها دور في تأويل الآيـــات قولـــه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الأنعام: ٤٢ – حيث عطفت (الفاء) جملة (أخذناهم) على جملة محذوفة والتقدير: (**ولقد أرسلنا إلى أمم قبلك فكذبوهم فأخذناهم ....**)[64]، وقد ترك ابن عاشور الحـــديث عـــن الســـببية والترتيب واللذين تفيدهما الفاء، وتلمس مناسبة للفاء، تابعة لدلالتهما على التعقيـــب،

قال ابن عاشور: "لما كان أخذهم بالبأساء والضراء مقارنًا لزمن وجود رسلهم بين ظهرانيهم كان الموقع لفاء العطف للإشارة إلى أن ذلك كان بمرأى رسلهم، وقبل انقراضهم ليكون إشارة إلى أن الله أيد رسله ونصرهم في حياتهم."[65]

والملاحظ أنه يعتمد على زمن بقاء الرسل لتجديد دلالة الفاء، فما وقع أثناء حياتهم فهو من التعقيب، وما كان بخلاف ذلك فهو تراخ، وفي ذلك اعتماد على السياق جلي، وتحكيم واضح لمقولة ابن هشام عن التعقيب: "وهو في كل شيء بحسبه".[66]

ومن أمثلة العطف بـ (ثم) قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٤ ، فقد عطفت (ثم) الجملة الفعلية على جملةٍ تباين المفسرون في تحديدها فقد ذهب الزمخشري إلى أنها معطوفة على قوله تعالى: ﴿ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٣ ، وقد أجاب الزمخشري السائل عن كيفية ذلك مع الاختلاف الزمني البعيد بين القضيتين بقوله: "هذه التوصية قديمة، لم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيهم، فكأنه قيل: ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديمًا وحديثًا .. ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى".[67]

يقول ابن عاشور موضحًا ومبينًا كعادته للأداة: "(ثم) هنا عاطفة على جملة: **(قل تعالوا)** فليست عاطفة للمفردات، فلا يتوهم أنها لتراخي الزمان ، بل تنسلخ عنه حين تعطف الجمل فتدل على التراخي في الرتبة ، وهو مهلة مجازية، وتلك دلالة (ثم) إذا عطفت. وقد استصعب على بعض المفسرين مسلك (ثم) في هذه الآية لأنَّ إتيان موسى – عليه السلام – الكتاب ليس برتبه أهم من رتبة تلاوة ما حرمه الله من المحرمات وما فرضه من إتباع صراط الإسلام. وتعددت آراء المفسرين في محمل (ثم) هنا إلى آراء: للفرَّاء، والزجَّاج، والزمخشري، وأبي مسلم، وغيرهم، كل يروم التخلص من هذا المضيق. والوجه عندي: أن (ثم) ما فارقت المعروف من إفادة التراخي الرتبي، وأن تراخي رتبة إتياء موسى – عليه السلام – الكتاب عن تلاوة ما حرم الله في القرآن، وما أمر به من ملازمة صراط الإسلام، إنما يظهر بعد النظر إلى المقصود من نظم الكلام، فإن المقصود من ذكر إتياء موسى – عليه السلام – الكتاب ليس لذاته بل هو التمهيد لقوله: **(وهذا كتاب أنزلناه مبارك)** ليرتب عليه قوله: **(أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا – إلى قوله – وهدى ورحمة)**."[68]

فنلاحظ في هذه الآيات كيف كان لفهم الأدوات دورًا في تأويل النصوص، كما أنه يظهر دور السياق جليًا في تحديد معنى الأداة فهي علاقة متبادلة، بين الأداة والمعنى السياقي للآيات.

ومن الآيات الدالة على أن العطف بـ (ثم) قد يدل على الترتيب والتراخي في الزمن قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٣ ، فالعطف بـ (ثم) هنا مناسبًا للسياق، فقد وردت (ثم) مناسبة لمقام الترغيب في التوبة، واختيرت (ثم) لأن دلالتها على التراخي تدفع شبهة أن يكون تأخر التوبة من الذنب مانعًا من قبولها، قال ابن عاشور: "وحرف (ثم) هنا مفيد للتراخي، وذلك إلجاء إلى قبول التوبة، ولو بعد زمان طويل مملوء

بفعل السيئات، وقوله **(من بعدها)** تأكيدًا لمفاد المهلة التي أفادها حرف (ثم)، وهذا تعريف للمشركين بأنهم إن آمنوا يغفر لهم، ولو طال أمد الشرك عليهم".[69]

وكذلك فهم ابن عاشور السياق وتفاعله مع الأداة في تناسق بديع يقول: "حرف **(ثم)** دال على التراخي .. لأن مساقتها الاستدلال على الوحدانية وإبطال التشريك بمراتبه، فكان خلق آدم دليلاً على عظيم قدرته تعالى وخلق زوجه من نفسه دليلاً آخر مستقل الدلالة على عظيم قدرته. فعطف بحرف (ثم) الدال على عطف الجمل على التراخي للإشارة على استقلال الجملة المعطوفة لها بالدلالة مثل الجملة المعطوفة هي عليها، فكان خلق زوج آدم منه أدل على عظيم القدرة من خلق الناس من تلك النفس الواحدة ومن زوجها لأنه خلق لم تجر به عادة، فكان ذلك الخلق أجلب لعجب السامع من خلق الناس فجيء له بحرف التراخي المستعمل في تراخي المنزلة لا في تراخي الزمن لأن زمن خلق زوج آدم سابق على خلق الناس".[70]

إذن فـ (ثمَّ) قد أدت إلى سبك النص عن طريق ربط أجزائه الموزعة على مساحة النص، وفهمها ضروري لفهم النص وتأويله وربما يوضح ذلك ورودها في النص القرآني في (338) موضعًا جاء في معظم المواضع (317 موضعاً) عاطفة للجملة[71] ومعظم دلالتها على الترتيب والتراخي في الزمان.[72]

6- أدوات الربط الشرطي:

من الأدوات والتعبيرات العطفية أدوات الربط الشرطي، والشرط يقصد به "وقوع الشيء لوقوع غيره"[73]، وهو تعليق أمر على حصول أمر آخر، أو هو ارتباط فعل أو قول بقول آخر[74]، ويطلق مصطلح الشرط على معنيين:

الأول: ما يتوقف عليه وجود الشيء، فتمنع من دونه.

الثاني: ما يترتب وجوده عليه، فيحصل بعده، ولا يمتنع وجوده من دونه، وهو الذي تدخل عليه أدوات الشرط.[75]

ومفهوم الشرط عند النحاة له دلالات متعددة أبرزها هي:

1- **التعليق:** وقد بنيت فكرة التعليق هذه على قول سيبويه: "وسألت الخليل عن قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ الروم: ٣٦ فقال: هذا معلقة بالكلام الأول كما كانت الفاء معلقة بالكلام الأول"[76]، وقد رأى سيبويه أن جواب الشرط مجزوم، لأنه معلق بفعل الشرط غير مستغن عنه[77]، وقد رأى ابن يعيش أن التعليق يتم بدخول أداة الشرط على الجملتين (جملة الشرط وجملة الجواب) فتعلق إحداهما بالأخرى.[78]

2- **السببية والمسببية:** وهي إحدى العلاقات القائمة بين الشرط وجوابه هي علاقة السبب والنتيجة، ونُلْحَظُ هذه العلاقة في قول ابن جنى "حقيقة الشرط وجوابه، أن يكون الثاني مسببًا من الأول نحو قوله. (إن زرتني أكرمتك) فالكرامة مُسَبَّبة عن الزيارة".[79]

3- **الربط:** إن الأساس في تركيب الشرط هو الربط بين جملتي الجزاء (الشرط) والجواب، قال ابن يعيش: إن هذه الأدوات "تدخل على جملتين فتربط إحداهما بالأخرى وتصيرهما كالجملة".(80)

4- **التلازم:** فقد بحث النحاة القدامى تركيب الشرط بالنظر إليه على أنه التزام وارتباط بين جملتين (جملة الشرط) و (جملة جواب الشرط)، وفي هذا الصدد يقول ابن السراج: "لابد للشرط من جواب، وإلا لم يتم الكلام، وهو نظير المبتدأ الذي لابد له من خبر"(81)، وتتميز هذه العلاقة بأنها مبنية على التلازم بين الشرط والجواب فيكون الجواب لازمًا والشرط ملزومًا سواءً أكان الشرط سببا أم لا(82)، ويذهب بعض المحدثين إلى أن أساس علاقة الشرط قائم على الاستلزام. (83)

وعلى هذا نجد أن أدوات الشرط لها دور ملحوظ في سبك النصِّ وربط أجزائه، فقد قسم (فإن دايك) الشرط على:

1- **التشارط المتحقق:** وهي تدل على أن مُقدَّم قضية اللزوم وتاليها قد يكونان مستوفيين في مقام معين من العالم، ومثال هذا:

- **لأن المطر لم يسقط في الصيف، فقد جفت الأرض.**

وفي مثل هذا التركيب – الذي أسماه **(فان دايك)** قضية اللزوم – المكوَّن من جملتين، يصح أن يقال: إن الجملتين صادقتان إذا صح استيفاء مُقَدَّم قضية اللزوم وتاليها معًا، وإن لم يصح أيٌّ من الطرفين فلا يصح القول.(84)

2- **التشارط الافتراضي:** يقرر **(فان دايك)** في هذا النوع أن تداخل الأحداث وتشابكها لا يوجد في العالم المتحقق فحسب، بل يوجد كذلك في العوالم الممكنة على وجه الاختيار، وأن الأحداث يجب أن تترابط، سواء أكانت ستحقق في عالم ما أم لم تتحقق، وأبرز الروابط المستعملة في هذا النوع هي (إذا) ومثال ذلك: (85)

- **إذا لم يسقط المطر في هذا الصيف، جفت الأرض.**

3- **التشارط المتعاند التحقق:** إنَّ خاصية هذا النوع تكمن في إما إمكان تحقق الشرط وإما إمكان تحقق النتيجة. **ومثال ذلك:** (86)

- **إذا لم يسقط المطر في هذا الصيف، فستجف الأرض.**

وقد اتجه بعض الباحثين النصين إلى التوسع في دراسة أدوات الشرط، فقد اتجه د. عمر أبو خرمة إلى تجاوز وظيفة الربط التي تؤديها هذه الأدوات إلى عدها رمزًا لغويًا يدل على استغناء الفقرة عن تركيب لغوي كامل مثل فعل وفاعل ومتعلقاته، فالأداة (إذا) مثلا تدل على معنى (اشترط مستقبلا) – ورأى أن المتكلم على الجمل المتعاقبة هذه الأدوات بدافع الاختصار والإيجاز. (87)

ووظيفة أدوات الشرط الأساسية هي ربط الجمل المتعاقبة، وقد يتسع هذا الربط فلا يقتصر على الجمل المتعاقبة فقط، بل يكون بين جمل غير متعاقبة. (88)

ومن تلك الأدوات **(إنْ)**، وقد وضح معناها في قوله قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾

المائدة: ١٠١ ، قال ابن عاشور: "وجاء بـ (إن) للدلالة على أن الأولى ترك السؤال عنها، لأن الأصل في (إنْ) أن تدل على أن الشرط نادر الوقوع أو مرغوب عن وقوعه"(89)

وكقوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ آل عمران: ٦٣ قال ابن عاشور: "وقوله: (فإن تولوا) جيء في هذا الشرط بحرف (إن)؛ لأن التولي بعد نهوض هذه الحجة وما قبلها من الأدلة غريب الوقوع، فالمقام مشتمل على ما هو صالح الاقتلاع حصول هذا الشرط، فصار فعل الشرط من شأنه أن يكون نادر الوقوع مفروضًا، وذلك من مواقع (إن) الشرطية فإن كان ذلك منهم، فقد صاروا بحيث يُؤس من إسلامهم **فأعرضوا** عنهم وأمسكوا أنتم بإسلامكم، وأشهدوهم أنكم على إسلامكم، ومعنى هذا الإشهاد التسجيل عليهم لئلا يظهروا أعراض المسلمين عن الاسترسال في محاجتهم في صورة العجز والتسليم بأحقية ما عليه أهل الكتاب فهذا معنى الإشهاد عليهم بأنا مسلمون".(90)

7- الربط بأدوات القصر:

وهو شكل من أشكال الربط بين الجمل، ويمكن عده نوعًا من أنواع الربط التبعي أو التفريعي، وقد عرفه القزويني بقوله: "هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"(91)، وتظهر قيمة هذه الأدوات في الربط عند طول الأجزاء والمعلومات التي تقع في حيزها، ومن أمثلة هذه الأدوات (إنما، أنما، والنفي والاستثناء).

ومن الأمثلة عليه قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ۚ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ النساء: ١٧١ ، قال ابن عاشور: "وقد أفادت الجملة قصر المسيح على صفات ثلاث: صفة الرسالة، وصفة كونه كلمة الله ألقيت إلى مريم، وصفة كونه روحًا من عند الله ... والقصد من هذا القصر إبطال ما أحدثه غلوهم في هذه الصفات غلواً أخرجها عن كنهها، فإن هذه الصفات ثابتة لعيسى، وهم مثبتون لها فلا ينكر عليهم وصف عيسى بها، لكنهم تجاوزوا الحد المحدود لها فجعلوا الرسالة البنوة، وجعلوا الكلمة اتحاد حقيقة الإلهية بعيسى في بطن مريم فجعلوا (عيسى ابنا لله ومريم صاحبة لله سبحانه، وجعلوا معنى الروح على ما به تكونت حقيقة المسيح في بطن مريم من نفس الإلهية".(92)

نستطيع في نهاية هذا المبحث أن نخلص بعدد من النقاط:

أولاً: إن الربط بين الجمل يعد علاقة تقوم بين سابق ولاحق في السياق اللغوي بواسطة إحدى وسائل الربط والتي يمكن أن تطلق عليها التعبيرات العطفية، وهي حينئذ إحدى وسائل السبك للنص، وتلك التعبيرات العطفية تم تقسيمها حسب تقسيم دي بو جراند إلى خمسة أقسام: أدوات الوصل وأدوات الفصل وأدوات الاستدال وأدوات التفريع والإتباع والتي يمكن أن يضاف إليها أدوات الربط الشرطي وأدوات الاستثناء ثم أخيراً الربط الزمني، وكل هذه العناصر على تعددها إلا أنها

تجتمع في وظيفة واحدة، وهي الربط بين جمل النص، لما تملكه من معان مختلفة يحددها السياق النصي، فعلى قدر تنوعها في إحداث علاقة بين المعلومات السابقة والمعلومات المغايرة للسابقة أو المعلومات اللاحقة ... إلخ، فهي كذلك تعمل على تقوية الأسباب بين هذه المعلومات.

ثانياً: يلاحظ تعدد معاني أدوات الربط والتي تم تحليلها، فهي تعيش ضمن سياقها الذي يقع فيه، لذلك نستطيع أن نقر أن هذه الأدوات ليس لها معنى خارج السياق.

ثالثاً: أدوات الربط بكل أنواعها وجميع سياقاتها تعد منارات لتأويل النصوص داخل متاهات الخطاب، فهي تساهم بصورة أساسية في توجيه العمليات التأويلية لهذا الترابط الكلي لقضايا الخطاب المرتبطة بعضها ببعض والمتصلة اتصالاً تامًا بقيود العلاقات النحوية والوظيفية والدلالية والتداولية[93]، كما ينبغي الإشارة هنا إلى أن يعامل الدراسات اللغوية المعاصرة مع حروف الربط قد اتخذ أبعادًا أخرى وتقسيمات جديدة لا تتفق كثيرًا مع الدرس النحوي العربي القديم، وربما يرجع ذلك إلى أن الدراسات اللغوية المعاصرة أخذت أبعادًا لسانية نصية وتداولية وألزمتها قضايا السياق والاستعمال، وأدخلتها عالم بناء النص وتأويله.

رابعاً: قد اهتم المفسرون ببيان معاني تلك الأدوات في تفسيرهم ويكاد يقتربون من فهم اللغوين المحدثين لها، فقد كان المفسرون يلجأون إلى قرائن السياق للتحديد معنى الأداة وقد برع الزمخشري في ذلك، كما اهتم ابن عاشور اهتمامًا بالغًا في تحديد تلك القضية وبيان أثر السياق فيها، حتى إن أحد الباحثين أقر في نتائجه لبحثه بأن تفسير ابن عاشور يعد معجمًا لاستخدام الأداوات في القرآن الكريم. [94]

المراجع

(1)محمد خطابي، لسانيات النص، ص23.
(2) Robert de beaugrand& Dressler: introduction to text linguistics, pp:69-73.
(3)محمد خطابي، لسانيات النص، ص24
(4)محمد أشرف عبدالعال، معايير النصية، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2003م، ص78.
(5)الصبان: حاشية الصبان –شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق/ طه عبدالرؤوف سعد، ط. المكتبة التوفيقية، القاهرة، 125/3.
(6)انظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1998، 437/1 – 438، وانظر: ابن جنى، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط عالم الكتب، بيروت، ص125/3.
(7)ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق: د. عبدالحسين العتيلي، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1988م، ص2/ 69.
(8)ابن الناظم، شرح ألفية بن مالك، تحقيق: د. عبدالمجيد السيد، دار الجيل، بيروت، ص519.
(9)الصبان، حاشية الصبان: 132/3.
(10)محمد خطابي، لسانيات النص: ص169 - 173
(11)محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، الكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2014، ص33.
(12)الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ط: دار الجيل، بيروت، لبنان، ص86.
(13)الجرجاني، دلائل الإعجاز: 222.
(14)ابن السراج، الأصول في النحو، 55/2-61.
(15)محمد خطابي، لسانيات النص: ص23.
(16)المرجع السابق، ص25.
(17)المرجع السابق، ص228 – 229.
(18)صبحي الفقي، علم اللغة النص بين النظرية والتطبيق: 259/1.
(19) Halliday& R. Hassan: Cohesion in English, P238.
(20) Robert de beaugrand& Dressler: introduction to text linguistics, pp:69-73
(21) دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص347.
(22) Halliday& R. Hassan: Cohesion in English, P229.
(23) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 259/1، وأنظر الزمخشري، الكشاف 170/1، قال: "وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة (رسالة السبك عند ابن عاشور).
(24) تشمل هذه المجموعة الجمل المتضمنة في الآيتين: (6-7)، وذلك قوله تعالى: "إن الذين كفروا سواءً عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم".
(25) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 259/1.
(26) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 420/1.

(27) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 420/1.
(28) المرجع السابق: 421/1.
(29) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 700/1.
(30) المرجع السابق: 700/1.
(31) المرجع السابق: 700/1.
(32) Robert de Beaugranded & Dressler: introduction to text linguistics, P. 72
(33) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 60/8.
(34) المصدر السابق: 184/8 - 186.
(35) المصدر السابق: 189/8 - 190.
(36) يرى د. مصطفى حميدة أن الزمخشري انفرد بهذا الرأي، ولم يقل به أحد غيره، ينظر: أساليب العطف في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 199، ص195.
(37) الزمخشري الكشاف: 115/1، وينظر: أساليب العطف في القرآن الكريم: 193.
(38) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 255/17.
(39) أنظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص23، وأنظر: براون دول، تحليل الخطاب: ص 229.
(40) النص والخطاب والإجراء: ص 346 - 347.
(41) أحمد عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد الخراط، دمشق، ص154-155.
(42) الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير: 224/7.
(43) أنظر: السيوطي، الإتقان: 186/1.
(44) التحرير والتنوير: 226/13.
(45) المرجع السابق: 323/15.
(46) المرجع السابق: 273/12 - 274.
(47) المرجع السابق: 286/1.
(48) Robert de Beaugran de & Dressler: introduction to text linguistics, p. 73.
(49) الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير: 250/11.
(50) الزمخشري، الكشاف: 578/14.
(51) الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير: 212/14.
(52) أنظر: المرجع السابق والصفحة نفسها.
(53) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 57/8.
(54) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 76/26.
(55) المرجع السابق والصفحة نفسها.
(56) المرجع السابق والصفحة نفسها.
(57) المرجع السابق: 369/23، وأنظر أيضاً: 30/8 و 566/30.
(58) سيبويه، الكتاب: 438/1.
(59) انظر ابن هشام، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: 2/ 476 - 477.

(60) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 510/1 - 511.
(61) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 423/1.
(62) أنظر آل عمران: 186 (191/4)، آل عمران: 193 (199/4)، يونس: 24 (142/11)، هود: 69 (117/12)، إبراهيم: (197/13).
(63) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 526/1، والجرحاني دلالة الإعجاز: 315-316.
(64) انظر الزمخشري، الكشاف: 327/7، ان عاشور، التحرير والتنوير: 227/7.
(65) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 227/7.
(66) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 479/2، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 131/30.
(67) الرجع السابق: 353/8.
(68) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 175/8.
(69) المرجع السابق: 121/9، ولم يشر الزمخشري إلى هذا المعنى، أنظر الزمخشري: 389/9.
(70) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 331/23.
(71) مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم: ص 155-156، 463-466.
(72) إلا أن الطاهر ابن عاشور كانت له نظرة مستقلة في فهم الأداة وقد تمت الإشارة إلى ذلك في أكثر من موضع.
(73) محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، القاهرة: 45/2.
(74) أنظر: محمد علي الكهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: على دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996: 1033/1.
(75) أبو البقاء الكوفي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، ط2، 1998: 529.
(76) سيبويه، الكتاب: 63/3 - 64.
(77) نفسه: 3/ 93-94.
(78) ابن يعيش، شرح المفصل: 157/8.
(79) ابن جني، الخصائص: 175/3.
(80) أبن يعيش، شرح المفصل: 157/8.
(81) ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق د. عبد الحسين القتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996، ص: 158/2.
(82) محمد بن علي الصبالة، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، ط ، 2002م: 33/4.
(83) مصطفى حميده، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان، ناشرون بيروت، ط1، 1997م: ص202.
(84) فان دايك، النص والسياق: 104-105.
(85) فان دايك، النص والسياق: 115-116.
(86) المصدر السابق: 119
(87) د. عمر أبو خرمة، نقد النظرية وبناء أخرى: 188-189.
(88) د. عزة شبل، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق: 166.
(89) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 67/7، وقد أشار الزمخشري إلى معنى الشرط فضمناً

ولم يشر صراحة" إلى معنى الأداة، أنظر الزمخشري، الكشاف: 311/7.
(90) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/ 269، لم يشر الزمخشري إطلاقاً لمعنى الشرط في تفسيره الآية أنظر: الكشاف: 175/3.
(91) القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط2، 1932، ص137.
(92) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 51/6 – 52، وقد أشار الزمخشري لهذا المعنى إجمالاً، أنظر الكشاف: 273/6.
(93) فان دايك، علم النص، ترجمة سعد حسن بحري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001، ص45.
(94) إبراهيم إبراهيم سيد أحمد، أثر السياق في توجيه المعنى، دراسة نحوية دلالية، ص576.